


وَمِيْضٌ مِّنْ سِيْرَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيْزِ

# ظَاهِرُهُ نُوْطِيْنُ الْبَادِيَةِ

لِلأستاذ : عبدالله حمد الحقييل

 الملك عبدالعزيز عظيم من عظماء تاريخنا العربي والإسلامي. وليس في وسع الكاتب ان يحيط بأبعاد شخصيته وأعماله وعبقريته وسداد رأيه. وبفضل الله وعونه وتوفيقه استطاع ان يؤسس بنيانا شامحا. ويقم صرحا اساسه التقوى واتباع الدين الإسلامي الصحيح. ويضع بهمة حضارية ما زال ابناء هذا الوطن يسعدون في ظلها.. وكان اهتمام جلalته ببناء الانسان يدل على اتخاذ المسح الصحيح في تكوين قواه الفاعلة وهو يدل على حكمة عظيمة تميز بها جلalته. ولقد كتب الكثيرون عن شخصية الملك عبدالعزيز وعن جوانب شخصيته وما تتميز به من سمات ومزايا وقدرة وعبقرية. فقد وهب الله مواهب عقلية وخلقية. وكان همه توحيد هذه البلاد وجعل كلمة لا اله الا الله هي العليا. وبناء دولة عربية اسلامية تعيد لهذه البلاد وجهها الصحيح. ويقم صرحا شامحا اساسه التقوى واتباع الدين الاسلامي الصحيح حيث شيد بانه على الاخلاق والدين وجعلها غاية وهما.. ولقد أكد ذلك جلالة الملك فهد في لقائه في جامعة الامام حيث قال : الشرف الأكبر هو قيام هذه الدولة كيانا وتكويننا على القاعدة الاسلامية ، لقد جمع هذا الكيان بعد أن كان متفرقا. ووحده بعد ان كان مشتتا<sup>(١)</sup>..

إن عبدالعزيز ما زال ذكره حيا في النفوس. فهو حي بأعماله الجليلة التي تمثلت في بناء هذا

الكيان الكبير.. المملكة العربية السعودية.. ولقد حمل ابناءؤه الراية من بعده. يعملون هذه الامة في إرساء قواعد المجد والتقدم والرفق..

ومها كتب الباحث فانه لن يستطيع ان يحصى الانجازات التي عملها، وملاحم بطولاته التي عاينها اعلاء كلمة التوحيد. وجمع ابناء هذه البلاد على كلمة الحق.. والوحدة الشاملة. لقد نلوا حياته في سبيل الدفاع عن مبادئ الإسلام، وانتشاره وتوفير الأمن والعلمانية لهذه الامة بعد فترة من التمزق والخوف والانقسامات والفرقة.. تلك الاهداف التي حرص الملك عبدالعزيز على تحقيقها وما زالت حية في اذهان ابناء شعبه.. ولقد كان عبدالعزيز ذا قلب كبير ممتلئ بالحب لابناء شعبه فكان ذلك دافعه إلى اقامة العدل وتوفير اسباب الحماية والرعاية للجميع.. يقول المؤرخ الانجليزي المشهور «ارمسترونج» في كتابه المعروف «سيد بلاد العرب» كان عبدالعزيز كبير القلب ندى الكف جسورا لا يعرف الصبر عنده حدودا عليا بنفوس العرب حكيما في معاملة القبائل وقد أوق المزايا والحصال التي يعجب العرب بها..<sup>(٦)</sup>

ولقد كان الملك عبدالعزيز يقول «انا نحمد الله على جمع الشمل وعلى جعل الحكم في هذه الديار بكتاب الله وسنة رسوله» وكان يقول «يجب علينا ان نكون عند حسن الظن بنا فلا نتفرق ونتعاهد.. لان ذلك من اسباب هلاكنا» وكان رحمه الله مشهورا بالتدين والورع. ونصرة الضعيف، والأخذ بيده. وغير ذلك من القيم الاخلاقية السامية. والمثل العربية الإسلامية الأصيلة.

إن في حياة الملك عبدالعزيز وفي سيرته وفي اخلاقه وفي عبقريته وفي سجاياه وفي فتوحاته وحروبه موردا ثرا لا ينضب معينه. ولو دقق كل باحث ومحقق مسجدا في سيرته وانتصاراته العسكرية<sup>(٧)</sup> والاخلاقية موردا صافيا، ومهلا عذبا وما زالت صدور الكثيرين ممن عاصروا الملك عبدالعزيز زاخرة بالذكريات والقصص والروايات. وفي كل مجلس أسمع قصصا وبتفولات متعددة الأطراف. لم يكتب عنها بعد. تبص بالخلق الرفيع والمثل النبيلة والشيم العربية الأصيلة. فقد كان هادى المزاج كريم الاخلاق، حليم الضباع، طيب العشرة ولطيفها. قليل الكلام. ومميده. كثير التفكير صبورا شجاعا متواضعا<sup>(٨)</sup>..

ولقد قال لي مرة أحد شيوخ القبائل خلال جولائي التفقيسية على المدارس: ان حسنات

عبد العزيز وفضائله لا يعرفها ويذكرها الا من عاش في ذلك العصر المليء بالخوف والتناحر والعداء. فقد كانت كل قبيلة تغزو القبيلة الاخرى. وتأخذ ماها وتسيح دمه... وكان الحاج وغيره يتعرض للنهب والسلب من قُطَاعِ الطرق..

ولهذا كان لشخصية ( عبد العزيز ) من القوة والفعالية في النفوس ما أشاع ووطد الأمن. وثبت الاخلاص والولاء لخلالته. وتغلب فيه على كثير من الصعاب لتحقيق مهمة جبارة. أجل لقد وحد عبد العزيز هذه الجزيرة وأعاد لها الأمن والاطمئنان وحطى بالحلب والتفدير ولقد قيل:

لا يحكم الناس في عصر تعيش به الا الذي لقلوب الناس بمنلك  
لقد حرص الملك عبد العزيز على نصرة الدين والحفاظ على العقيدة الإسلامية تحت شعار  
التوحيد الإسلامي وتوثيق عرى الدين وتوحيد كلمة المسلمين والتأليف بين قلوبهم.<sup>(٣)</sup>

حتى كانت هذه المملكة المترامية الاطراف المتحدة الاجزاء ولقد خلد الشاعر ابن عثيمين  
بقصائده تاريخ موحد ومؤسس هذه المملكة وباني مهنها اذ يقول : -

بكم هدى الله ماضينا وآخرنا فأنتم رحمة نلنا بها الأملأ  
بخصى الخصى قبل ان نحصى فضائلكم ديننا ودنيا واحسانا ومنشعلا  
ويثوق واصفا الملك عبدالعزيز بالجد والشجاعة والعزيمة :

ذاك الامام الذي كادت عزائمه تسمو به فوق هام النسر والقطب  
عبد العزيز الذي ذلت لسطوته شوس الجبابر من عجم ومن عرب  
لبث اللبث اخو الهجاء معرها السيد النجب ابن السادة النجب  
لقد كان طيب الله ثراه لا يملك - عندما خرج من الكويت - الا ارادته القولاذية وقلبه  
الكبير جنباً إلى جنب مع شجاعته التي فخر بها عددا لا يحصى من أبرز رجال عصره. وكرمه  
الذي طبع عليه دمه ولحمه<sup>(٤)</sup>.

ولم يكن الملك عبدالعزيز قائداً عسكرياً محب حيث استطاع بنف قليل ان يفتح البلدان

وبدك الحصون ويقاوم الاعداء، بل كان زعيما حضاريا - يمثل الانسان في نظره قيمة حضارية قتها الاحترام والتقدير، ولذا ينبغي وضعه في المكان المناسب. ولعل ذلك الاتجاه هو أبرز واسمى جهود جلالته، دلالة على اتباعه للمنهج الصحيح في تكوين قواه الفاعلة. وهو يدل على حكمة عظيمة تميز بها جلالته، وكان همه الاكبر ان يبعد أبناء وطنه وقد أخذوا امكانهم في قيادة أمنهم على أسس من الدين الإسلامي، وبذلك تصفو النفوس ويتبوأ الانسان المسلم مكانه الصحيح وسط ذلك العالم..

ومن هنا كانت أولى خطواته الإصلاحية هي تحضير وتوطين البادية فعندما يقف الانسان امام حياة البادية لدراستها يبعد نفسه ازاء موضوعات قد تكون متناقضة لأول وهلة، حيث اختلف الكثيرون في تفسير حياة البدوى وصفاته، فبينما نجد البعض قد ذهب إلى وصفه بالقوة وتعمله المشاق<sup>(٥)</sup> نجد البعض الآخر يذهب بالمقارنة بين البدوى وبين من سبقوه في الحضار الحضاري إلى وضعه في حالة من التفوق والسمو نظرا لما اكتسبه من صفات لا تزال البشرية تنزو اليها لتحقيق قدر منها كالحرية والمساواة والاخاء<sup>(٦)</sup> فللمساواة مطلقة بين الأخ وأخيه في حدود الحقوق والواجبات التي تحددها القبيلة، فلا نزاع هناك ولا اطماع بينهما الا من اجل الاحتفاظ بالثروة التي يترى على قتها الحبل والابل<sup>(٧)</sup>.

فحياة الترحال موضع فخر البدوى اتغذها سجية لحياته اليومية واضعا هذه الانطلاقة غير المحدودة نموذجا حيا تميزه عن اولئك المقيدين بقيود التمدن. ويعتبر نفسه لذلك اكثر سعادة منهم ان لم يعتبرهم ادنى مستوى منه<sup>(٨)</sup>..

ومن طبائع البدو انهم يقيمون وزنا لكل صادق قول، فالقول السديد والحجة القوية اشد تأثيرا في طبائعهم الشديدة الاحساس المتقدمة الذهن. وقد اصاب الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، هذه الحقيقة وادرك هذا الواقع الذي يعيش فيه قطاع ضخم من مواطنيه.

يقول الريحاني :

( لقد شاهدت معرض العطاء في الرياض - بل كنت اشاهده كل يوم مدة اقامتي هناك. وأعجب جدا لا لكرم هذا الرجل، بل لإيمانه وثقته بالله، مصدر الخير اللامتناهي. وولى النعم

التي لا تزول، والا فكيف بدوام يمكنه من العطاء في بلاد لا ثروة لها ثابتة ودائمة<sup>(٩)</sup> ..

وأمام هذه الاعتبارات فكر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في مشروع اصلاحى يرمى إلى تأمين حياة مستقرة للبادية حول ينابيع المياه، ومن ثم تعليمهم الزراعة واستثمار الامحايات الكامنة داخل هؤلاء.

ورأى الملك عبدالعزيز أن خير وأفضل أسلوب لإقناع هؤلاء هو تعليمهم وغرس المبادئ الإسلامية الصحيحة في نفوسهم. وامام قوة الحججة الدينية وشخصية الملك عبدالعزيز والدعاة الذين ارسلهم إلى القبائل بدأت ثمار ذلك المشروع تؤتي أكلها.. ففي عام ١٣٢٩هـ/١٩١٢م اجتمعت جماعة من قبائل حرب تلقب بعشيرة ( العريجات ) في مكان بالقرب من ( المجمعة ) بلغ عددهم ما يقرب من الخمسين فردا على آبار الارطاوية الواقعة على الطريق بين الكويت والمجمعة ليكونوا بمثابة نقطة البدء في مشروع توطئ البادية. وتكونت أول ( هجرة ) هناك عرفت بـ ( هجرة الارطاوية ) وسكنها ( سعد بن مشيب من حرب )<sup>(١٠)</sup> ثم اعطيت لقبيل الدويش وجماعته من مطير.

وتبع الارطاوية ( الغنطط ) وسكنها بطن من ( عتيه ) وهي بطن ( برقة ) وتوالى بعد ذلك المهجر حتى عددها الريحاني في كتابه (نجد الحديث) بما تزيد على سبعين هجرة<sup>(١١)</sup> علما بأنها تزيد على ذلك بكثير. وقد وقفت على الكثير منها خلال جولتي التنقيشية بوزارة المعارف.

وسميت المنازل الجديدة بـ ( الهجرة ) لارتباطها الدينى والاجتماعى والحضارى بمفهوم الانتقال من حال إلى آخر. وقد اكتسب ذلك التعريف في عهد الملك عبدالعزيز مزيدا من الشمول والسعة. عما كان عليه سابقا.

والاعمدة الرئيسية لإقامة الهجرة ثلاثة أو أربعة عند البعض البئر والمسجد والمسكن. والعامل الأهم في نظرنا هو.. مبادئ الدين الخفيف والسير على منهج السلف الصالح.

وعادة يبدأ بناء المسجد. ثم يأتي بعده دور المساكن التي تلتف حوله. ومن ثم يبدأ التوسع شيئا فشيئا. وقد وضع الملك عبدالعزيز تحت ايدى قاضى الهجرة التسهيلات اللازمة لحياتهم المعيشية كالمال والحبوب والادوات الزراعية لحرثة الارض. بالاضافة إلى كل ما هو ضرورى

للمسجد، الذي يمثل مدرسة للهجرة تلقى فيه المواعظ والدروس فاذا استقام أهل الهجرة في مقارهم، تم توزيع الذخيرة عليهم وتسجل أسماء القادرين على الحرب ليكونوا على أهبة الاستعداد إذا نادى منادى الجهاد. أما أهل الحاجة والضعفاء فلهم أعطيات خاصة بهم مسجلة على أربعة أنواع هي الشرعة والقاعدة والبروة ثم المعونة.

لقد كان التضامن والتآزر مشجعا على مظاهر الحياة الجديدة بالهجرة. فاذا أصيب أحد الافراد، أو فقدت الأسرة عائلتها، كان من الواجب على رفاقه تقديم يد العون إلى أسرته التي تركها، واذا وقع احدهم في ضائقة مالية قاموا بجمع المال الضروري له حتى يكفوه شر الحاجة.

لقد أضفت تجربة التوطين في عهد الملك عبدالعزيز نوعا جديدا من العلاقات بين الافراد. أساسه الصلة الدينية المتينة. والتآزر من أجل حياة افضل، والانتقال الحضارى لممارسة الزراعة إلى جلب الرعى. وسلوك طريق التوعية والتنقيف.

وزادت نسبة الأمن في البلاد واصبحت من احدى السمات الاساسية التي تميزت بها المملكة منذ عهد الملك عبدالعزيز وحتى وقتنا الحاضر يقول « ارسلان ».

« كنت صاعدا إلى الطائف ومعى عبادة احسانية سوداء جعلتها وراء ظهرى في السبابة. ويظهر أنها سقطت منى في الأرض. . ولم اتبه لها فاخذ الناس يمرون ويمرون والعبادة ملقاة على قارعة الطريق فلا يمرؤ أحد ان يمسه. . واخيرا وصل خبرها امير الطائف فارسل سيارة أتت بها واخذ بالتحقق عن صاحبها، فقيل له اننا نحن الذين مررنا من هناك فجاء الامير في اليوم الثاني لردّها اليها»<sup>(١٢)</sup>.

لقد كانت تجربة التوطين رائدة في نوعيتها الحضارية والتاريخية وفكرة جديدة سبق وقته ومكانه، بنى عليها الملك عبدالعزيز رحمه الله بناء راسخا. ومثلت لبنة في بناء شامخ، متعدد الأسس وان كانت التواة الاولى هي الدين الاسلامى الصحيح واعياده على رجال هم جند في وقت الشدة وأيد قوية وقت السلم..

لقد كان الملك عبدالعزيز حريصا على الاهتمام بشئون المسلمين ورعاية مصالحهم والسؤال عن احوالهم ولذا فقد احتل مكانة كبيرة في نفوس مواطنيه وقلوب المسلمين جميعا..

يقول الدكتور عبدالفتاح حسن ابوعلية في كتابه « الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز » ص ١٤٣ حول هذا الموضوع :

لقد نجمت عدة عوامل ساعدت على نجاح مشروع الملك عبدالعزيز وإخراجه من حيز الفكرة إلى حيز التنفيذ والعمل ومن أهم هذه العوامل :

أولا : سداجة البدو وعاطفتهم ، حيث انهم يصدقون كل شيء ويندفعون في سبيل تحقيق ما يعتقدونه اندفاعا قويا. وهذا ساعد على نجاح مشروع الملك عبدالعزيز.

ثانيا : ان الحماس الديني الموجود عند البدو البسطاء كان عاملا قويا من عوامل نجاح المشروع. فالبدو لا يهتمون بالسياسة. وإنما لديهم احساس عميق بالامور الدينية.

ثالثا : لقد ساعدت ارشادات العلماء الدينين والمرشدين في انجاح المشروع.

رابعا : لقد نجح الملك عبدالعزيز آل سعود في ارساء فكرة بيع القبائل لجلالها التي هي رمز البداوة. وان تعتمد على الزراعة بدلا من الرعى. وتكون مجتمعا زراعيا مستقرا. بدلا من مجتمع رعى متنقل. وساعده في ارساء فكرته هذه جماعته الذين يشرفون على تثقيف البدو وتعليمهم.

خامسا : كثرة عطايا الملك عبدالعزيز ومساعداته لأبناء البادية من الأموال والأرز والحبوب والشاي والبن وبعض التسهيلات اللازمة للزراعة. والواقع أن هجرهم لم تكن هجرا زراعية بالمعنى الحقيقي. وإنما هي على شكل وحدات سكنية بناها البدو حول بئر ماء وبجانبه مسجد. وكان جل اعتماد البدو على عطايا الدولة.

سادسا : ان البدو ملوا حياة الترحال. ولذا وجدت لديهم اسباب قيام نوع من الاستقرار الذي فضلوه على الترحال. وقد تأثروا في حبيهم لحياة الاستقرار بعوامل سنوات افلح المتتالية. والجفاف المميت في ديارهم. وهذا معناه القضاء على موارد رزقهم التقليدية. زد على هذا انهم فضلو الاستقرار لانهم كانوا يجدون مرونة العيش في المدن أكثر من الصحراء.

سابعا : لقد استطاع الملك عبدالعزيز ان يفتح رؤساء القبائل بالحضور إلى الرياض والدراسة في مسجدها الكبير للأمور الدينية على مشايخ أعددهم هذه الغاية. ليعودوا وينشروا هذه التعاليم الدينية بين افراد قبائلهم.

ويصف لنا هاريسون Harrison « البريطاني الذي زار الرياض سنة ١٩١٨م حالة الاخوان فيقول : « ان الناس يعيشون للعالم الآخر. مئات يدرسون في المساجد ليكونوا معتمدين دينيين للبدو بين القبائل. وكانت الرياض مركزهم الديني. ومما يوزع العلماء إلى انحاء البلاد ليقوموا بتثقيف البدو هناك.

ثامنا : مرونة نظام الملك عبدالعزيز الخاص بالتوطين، فقد سمح لكل قبيلة كبيرة ان تبقى قسما من افرادها في الصحراء يعملون في الرعي. واما الباقون فيرسلون إلى المجر للقيام بالاعمال الزراعية. فكانت مرونة النظام وسهولته من العوامل المشجعة للبدو على قبول المشروع.

تاسعا : وفي اعتقادنا انه عندما كانت تؤسس المجر لتوطين الاخوان كان يرافق هذه العملية توزيع الاراضي المجاورة للهجرة على البدو الجدد المقيمين في المجر الجديدة. وبهذا يكون البدوى قد حصل على حصة من الاراضي لم يكن ليحصل عليها لولا هذا المشروع. ففى رأينا ان هذا كان عاملا مشجعا لقبول البدو لمشروعها لأنه يدر عليهم الفوائد الكثيرة.



وهذا بيان بأسماء الحجر : -

اسم القبيلة	اسم الحجر	القبيلة	اسم الحجر
١ - مصر	الارطاوية	٢ -	قرية العليا
٣ -	قرية السفلى	٤ -	مبايض
٥ -	القروشى	٦ -	اثلة
٧ -	مكة	٨ -	ضريه
٩ -	مليح	١٠ -	الارطاوى
١١ - عنية (الرؤف)		١٢ -	عرجا
١٣ -	نفحا	١٤ -	ساجر
١٥ -	الصوح	١٦ -	عيله
١٧ - ( برف )	( الغطفط )	١٨ -	عروى
١٩ -	سام	٢٠ -	الروضة
٢١ - لدواسر	مشيرفه	٢٢ -	الوسيطه
٢٣ - بنو مرة	ابريق	٢٤ -	الشيالك
٢٥ -	عين دار	٢٦ - قحطان	قحطان
٢٧ -	المياثم البادية	٢٨ -	الجفير
٢٩ -	الحصاة	٣٠ -	الرين السفلى
٣١ -	الرين العليا	٣٢ - المعجمان	الصرار
٣٣ -	عريمه	٣٤ -	حنيد
٣٥ -	الصحاف	٣٦ -	العقير
٣٧ - حرب	دخنه	٣٨ -	قبه
٣٩ -	القنواره	٤٠ -	الشيكة
٤١ -	البرود	٤٢ -	الديمية
٤٣ -	القرين	٤٤ -	حنيفل

اسم القبيلة	اسم القبيلة	اسم القبيلة	اسم القبيلة
حذيفة	٤٦ -	الماقية	٤٥ -
الحصى	٤٨ -	ثاج	٤٧ - لغوار
العنق	٥٠ -		٤٩ -
القصر	٥٢ -	النوان	٥١ -
الغضبية	٥٤ -	البلاذبية	٥٣ -
الثقيق	٥٦ -	الشم	٥٥ -
الاجفر	٥٨ - شم	المصاع	٥٧ -
الحقي	٦٠ -	العظيم	٥٩ -
يضر نيل	٦٢ -	الحبة	٦١ -
خرنفت	٦٤ -	ام القلبان	٦٣ -
البدع	٦٦ -	المريز	٦٥ -
طيسم	٦٨ -	الاخضر	٦٧ -
المتبصف	٧٠ -	القيعة	٦٩ - هجر متنوعة
		الرويفية	٧١ -

حقا لقد غرس عبدالعزيز في هذه الارض الطيبة المباركة اعظم وحدة في تاريخ هذه البلاد. فحول ضعفها إلى قوة. ونمّزها ونمّزها إلى كيان كبير قوى راسخ حتى أصبحت المملكة العربية السعودية اليوم نموذجاً رائعاً. ومثلاً فذاً حقيقياً للوحدة الوطنية. وتابع ابتناؤه سياسته الحكيمة بأمانة واخلاص حتى وصلت البلاد إلى ما وصلت إليه من منجزات حضارية شملت جميع جوانب الحياة في عهدنا الزاهر..

- (١) اعظم عدائهم الغلام، الملك الراشد جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود، دار النوادر ١٤٠٠هـ ص ٢٢ - ٩١.
- (٢) محمد عاتق، السعودية وحوم العرب خلال نصف قرن، ١٩٢٣ - ١٩٧٨ م بيروت ١٩٧٨ م ص ١٥.
- (٣) جلال كشك، السعوديون والخل الإسلامي مصدر الشريعة لنظام السعودي ط ٣ سنة ١٤٠٢هـ ص ٢٨٠.
- (٤) فهد الفاروق، من شيم الملك عبدالعزيز، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤.
- (٥) جاكوبين بيرين - اكتشاف جزيرة العرب - ترجمة فدرى قمحى - ص ٣١٩.
- (٦) مجلة الزهراء ج ١ - ١٢ - ص ١١ محرم ١٣١١هـ، خلاص كتاب (مسلسل الاندلس، لدوري).
- (٧) Daughy, Travels in Arabia Desert, PP. 56-57.
- (٨) ابن خلدون - ج ١ - كتاب العبر وديوان البلدان والحجرات - ص ١٢ - ١٢٢.
- (٩) امين الزبيدي - ملوك العرب - ج ٢ - ص ٩١.
- (١٠) مؤاد حمزة - قلب جزيرة العرب - ص ٣٧٩.
- (١١) الزبيدي - تاريخ نجد - ص ٢٦٤ - ٢٦٥.
- (١٢) شكيب ارسلان : الارشادات النطاف - ص ١٢٢.

أخي المواطن، ان اقتران الدارة باسم الملك عبدالعزيز رحمه الله، انما هو وفاء بحقه على أمته.. وتقدير منها لدوره البطولي في تأسيس مملكتنا الشامخة، ورمز لأهياء دارات العرب قديماً بما كانت تضفيه على الوافدين اليها من كرم وسكاء.. وهذه تقدم للباحثين ورائعي العلم والمعرفة ما يستفونه من معين العلم الذي لا ينضب..

«مع تحيات دارة الملك عبد العزيز»